مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليّـــــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: الرابع والسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــــل

١٤٣٩هـــ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعـــة الموصـــل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعـــة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعـــة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعـــة الموصـــل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعـــة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعـــة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكـــار الواردة في المجلـــة جميـــعاً تعبر عـــن آراء كاتبيهـــا، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظـــر المجلـــة

توجـــه المراســـلات باســـم رئيـــس هيئـــة التحـــرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: أربعة وسبعون	السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أميـــن	– إدارة المتابعـــة
م. مترجم.نجلاء أحمد حســين	– إدارة المتابعـــة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	– مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــات

العنـــوان	الصفحــة
جماليات التواصل الكلامي في الحديث النبوي صحيح البخاري أنموذجاً أ.م.د. محمد ذنون يونس	١ – ٣٤
التجديد الأسلوبي في الخطاب الشعري عند ابن عبد ربه الأندلسي – (٢٤٦ – ٣٢٨ هـ) المحصات انموذجاً أ.م.د. مازن موفق صديق الخيرو و أ.م.د. غيداء أحمد سعدون	٣٥ – ٥٠
الثلاثيات القرآنية دراسة بلاغية ـ سورة البقرة إنموذجاً ـ أ.م.د. قاسم فتحي سليمان	٥١ – ٩٨
جماليات الأنساق الضدية في شعر ابن مُقبل أ.م.د.آن تحسين الجلبي	٩٩ – ١٢٨
شعر الشمردل اليربوعي دراسة إيقاعية أ.م.د. نهى محمد عمر و م.م. نور مخلف صالح	١٢٩ – ١٦٦
الترابط النحوي والتماسك النصي في أدعية النوم قوله (ﷺ) : (اللهم اسلمت نفسي .....) انموذجاً م.د.عبد الله خليف خضير الحياني	١٦٧ – ١٨٤
ديوان المعتمد بن عباد (دراسة في معجمه الشعري) م.د.فـواز أحمد محمد صالح	١٨٥ – ٢٢٢
الحِجاج في بناء الجملة الاستفهامية في القرآن الكريم (نماذج تطبيقية) م.م.سعد موفق سعيد	٢٢٣ – ٢٤٤
اللغة الشعرية في شعر المتنبي م.م.طارق حسين علي النعيمي	٢٤٥ – ٢٦٤
وجوه مطالب التفسير في ضوء مقدمة جامع البيان للطبري أ.م.د. عبدالستار فاضل خضر النعيمي	٢٦٥ – ٢٩٦
مفهوم التسامح في المجتمعات المدنية على ضوء الفقه الإسلامي دراسة تحليلية أ.م.د. ميكائيل رشيد علي الزيباري	٢٩٧– ٣٢٠
أثـر الرؤيـة السيـاقية في دلالـة العـامِّ عند الإمـام الشـاطبـيِّ(٧٩٠هـ) م.د. عمار غانم محمد المولى	٣٢١– ٣٦٠

حماية الحيوان في القانون العراقي القديم أ.م.د. عبدالرحمن يونس عبدالرحمن الخطيب	٣٦١– ٣٨٠
انتشار الإسلام في بلاد ماوراء النهر أ.د. أحمد عبدالعزيز محمود	٣٨١– ٤٠٢
الحياة العلمية في بلاد القفقاس (ارمينية واذربيجان) حتى نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أ.م.د.محمد عبدالله احمد و م.د. عماد كامل مرعي	٤٠٣ – ٤٣٤
مكانة الأحباش في السنة النبوية أ.م.د.بشار اكرم جميل	٤٣٥– ٤٥٠
التأمين الاجتماعي في بريطانيا ١٩٠٥–١٩٤٥ دراسة تاريخية أ.م.د. اياد علي الهاشمي	٤٥١– ٤٨٨
آراء ابن الجوزي في الشيخ الصوفي سري السقطي (ت٢٥٣هـ /٨٦٧م) أ.م.د. عبد القادر احمد يونس	٤٨٩– ٥١٠
مختصر كتب الوفيات في العصر المملوكي مخطوطة المنتهى في وفيات أولي النهى لابن حمزة الدمشقي (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م(انموذجًا) أ.م.د. رائد أمير عبدالله الراشد	٥١١– ٥٥٠
عملية السلام في الشرق الأوسط ١٩٩١_١٩٩٣ وموقف الولايات المتحدة الامريكية منها م.د. محمود احمد خضر المعماري و م.د. عبد الرحمن جدوع سعيد التميمي	٥٥١– ٥٨٤
الحوليات السريانية مصدرا لدراسة تاريخ الموصل في فترة الاحتلال المغولي (تاريخ الزمان) لابن العبري أنموذجا(ت٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م) م.د.هدى ياسين يوسف الدباغ	٥٨٥– ٦١٤
إسهامات علماء حصن كيفا في الحركة العلمية من مطلع القرن السادس حتى أواخر القرن التاسع للهجرة/ الثاني عشر – الخامس عشر للميلاد م.د. نشوان محمد عبدالله م.د. قيس فتحي احمد	٦١٥– ٦٤٠
الأديب عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) دراسة في سيرته العلمية م.د. حنان عبد الخالق علي السبعاوي	٦٤١– ٦٥٨

معوقات المرأة العاملة المتزوجة منذ عام ٢٠٠٣ دراسة ميدانية في معمل الألبسة الجاهزة / ولدي / في مدينة الموصل أ.م.د. جمعة جاسم خلف	٦٥٩- ٦٨٨
الاثار النفسية والاجتماعية للموضة (بحث ميداني في مدينة الموصل) م.ابتهال عبد الجواد كاظم	٦٨٩- ٧١٦
حقوق الانسان لدى ابرز مفكري العقد الاجتماعي دراسة اجتماعية – تحليلية م. ريم أيوب محمد	٧١٧- ٧٥٢
الثقافة الصحية للأسرة وأثرها على عملية التنمية الاجتماعية دراسة ميدانية في مدينة الموصل م. هناء جاسم السبعاوي	٧٥٣- ٧٨٦

جماليات التواصل الكلامي وتطبيقاته في الحديث النبوي صحيح البخاري أنموذجاً

أ.د. محمد ذنون يونس*

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/١٢/٢٣ تأريخ القبول: ٢٠١٤/٢/١٩

توطئة :

يتناول هذا البحث التوجيهات النبوية لقواعد التواصل اللغوي بين أفراد المجتمع والأمة، حيث تحرص الشريعة الإسلامية في منظومتها المتكاملة، على غرس أصول التعامل السليم، وتدعيم العلاقات والأواصر في المجتمع الإسلامي، وتعدّ اللغة عنصراً أساسياً للتواصل بين أفرادها وهيئاتها ومؤسساتها المختلفة، ولذا تولي الشريعة الإسلامية لها مكانة مهمة؛ لأنها الوسيلة الأساسية في بناء العلاقات الإنسانية وتعزيزها، والتي تحرص على تقويتها وتنميتها، وقد لمحنا ذلك من خلال التوجيهات النبوية التي تتناول وضع أسس السبل السليمة في قواعد الكلام والخطاب، بما يعدّ دعوة لاستثمار اللغة بما تحمله من مداليل ومضامين قيمية في إنشاء علاقات الود والاحترام، التي يعلوها الذوق الرفيع والسمو الجليل، ولا يتناسى الدقة والعمق ووضع الأشياء في مواضعها وتسمية الأشياء بمسمياتها، مع الحرص على أن تكون تلك الوسيلة التواصلية مشتملة على مظاهر الحسن والجمال الفني؛ لتثير بطريقة العرض والإخراج، وتشكيلات الصياغة المناسبة للمقام المتلقيَ وأحاسيسه ليتذوق جماليات الخطاب والكلام.

ونظراً لكثرة تلك التوجيهات النبوية الداعمة لطرق التواصل اللفظي جماليا قصرنا البحث على النصوص الواردة في صحيح البخاري، لتكون أمثولة تطبيقية دالة على النظرة النبوية لهذا النظام الرمزي المهم المسمى باللغة، باعتبارها عنصراً بارزاً في تواصل أبناء الأمة بعضهم ببعض، ومع الأمم الأخرى؛ لنشر اللغة الودية المفعمة بالرقي والسمو،

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل .

المحتفظة بالدقة والحقيقة والفاعلية والجمال، من أجل بناء مجتمع متكامل تسوده علاقات الأخوة، وتعلوه القيم الإنسانية الصادقة، التي أقرّها الوحي وجاء بها الشرع.

قبل الدخول في تحليل النصوص النبوية التي تتناول اللغة الاستعمالية، باعتبارها عنصرا مهما من عناصر التواصل البشري، وتحديد جماليات ذلك العنصر من خلال الإرشاد النبوي الكريم، لا بدّ أن نتوقف عند هذا العنوان المركب من: تكوين إضافي تمثّل في (جماليات التواصل)، وتكوين وصفي تمثّل في (التواصل الكلامي)، والنسبة التقييدية التي وقعت في (جماليات) و (الكلامي)، حيث تمّت نسبة موصوف مقدر إلى (الجمال) بمعنى: العناصر التي تحقق الجمالية، وتضفي الجمال على عملية التواصل اللغوية، وتمّت نسبة التواصل إلى (الكلام) لإخراج عمليات التواصل غير اللفظية واللغوية الواقعة بين أفراد الجماعات البشرية، فمن الضروري بمكان التعريفُ بعناصر هذا العنوان؛ لتكون عمليات التحليل مبنية على أساس موضوعي يهتم بالظاهرة نفسها، ويحاول التركيز على مكوناتها، صيانة للبحث من التشتت، وحفظا له من الضياع في عناصر غريبة عنه، وتلك العناصر هي: (الجمال، والجمالية، والتواصل، والكلام)، ونبدأ بتحديد تلك العناصر مرتبة بالآتي:

- **الجمال:** ذكر ابن فارس للجيم والميم واللام أصلين، أحدهما: تجمّع وعظم الخَلْق، والآخر حُسنٌ، فالأول كقولك: أجملت الشيء، وهذه جملة الشيء، ويجوز أن يكون الجَمَل من هذا لعظم خلقه، والجُماليّ الرجل العظيم الخلق، كأنه شبه بالجمل، والأصل الآخر: الجمال، وهو ضد القبح، ورجل جميل وجُمال، قال ابن قتيبة، أصله من الجميل وهو ودَك الشحم المذاب، يريد أن ماء السمَن يجري في وجهه(١)، ونجد بين الأصلين تقاربا؛ لأن التجمع في الخلق مع العظم يعطي نوعا من الحسن وبعدا عن القبح، وربما سمي الحيوان المعروف بالجمل؛ لأن عِظَم خلقته يعطيه بهاء وجلالا استحق عليهما

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م: ١/ ٤٨١.

الجمال، فكان جَمَلاً، وربما سمي الشحم المذاب جميلا لعظم نفعه، وذكر الجوهري[١] الفعل على أنه من الباب الخامس، وهذا الباب الصرفي يدل على أفعال الطبائع اللازمة للشيء، التي لا تنفك عنه، ومن المعلوم أن الحسن والجمال الظاهري والباطني صفتان عسيرتا الانفكاك عن المتصف بهما، ويفرق أبو هلال العسكري بين الحسن والجمال، بأن الجمال أعمُّ من الحسن، حيث يطلق على ما يشتهر ويرتفع به الإنسان من الأفعال والأخلاق ومن كثرة المال والجسم، " ألا ترى يقال لك: في هذا الأمر جمال، ولا يقال لك فيه حسنٌ، وفي القرآن الكريم: (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)، والحسن في الأصل الصورة، ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة، ثم استعمل في الصور، وأصل الجمال في العربية العِظَم"[٢]، فالحسن للصور الظاهرة، والجمال لها ولغيرها، فالحسن شكلي، والجمال شكلي ومضموني معاً، وفي المعجم الوسيط: "جمُل الشيء جمالا حسن خَلْقه وحسن خُلُقه"[٣]، فالجمال في اللغة يعم الشكل والمضمون، فتوصف به الأعضاء الظاهرة، كما توصف به الطبائع والأحوال الباطنة، وتطالعنا كلمة (الجمالي) في اللغة لتعطي معنى الضخم الأعضاء التام الخلق الطويل، حيث نجد في ياء النسبة دلالة على المبالغة والأكثرية، فتكون (الجمالية) منسوبة إلى (الجمال)؛ لقصد إفادة المبالغة في تحقق عناصر الجمال الظاهري والباطني في الأشياء، فالجمال لغة: الاتصاف بالحسن ظاهراً وباطنا، فيشمل القول والفعل وأحوال النفس، وأما اصطلاحا فقد حدث نزاع كبير بين الفلاسفة في تحديد ماهيته، فمنهم (أفلاطون وأرسطو والفيثاغوريون وكانط) من رأى أنه ذو طبيعة موضوعية، له وجوده المستقل، بعيدا عن الذات المتحسسة له والعقل المتبصر فيه، ومنهم (السوفسطائيون وهيجل) من رأى أنه ذو طبيعة ذاتية، وليس له أي وجود واقعي أو موضوعي، فالجمال

---

(١) الصحاح، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٨٧م: ٤/ ١٦٦١.

(٢) الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة: ١/ ٢٦٢.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة: ١/ ١٣٦.

كامن في الذات المدركة له، والعقل الباحث عنه[١]، فنشأت مقولتان في فهم حقيقة الجمال: الجمال الحقيقي والجمال النسبي، يقول جبور عبد النور: " من الصعب تحديد معنى الجمال؛ لأنه إحساس داخلي يتولد فينا عند رؤية ما هو جميل، ويرى البعض أنه ما يثير فينا إحساسا بالانتظام والتناغم والكمال"[٢]، وأجد أن مقولة الجمال النسبي فيها مغالاة واضحة، فمما لا شك فيه أن هنالك سمات معينة تجعل من اتصف بها جميلا، ولذا ذهب أكثر الفلاسفة أن سبب الجمال كامن في وجود التناسق والتناسب بين الأشياء، فكلما توفر عنصر التناسق كان الشيء والجسم والمكان والفعل جميلا، وكذا (القول) كلما كان مناسبا للمقام ومما يقتضيه حال الخطاب، ومشتملا على عناصر التناسب والتناسق بين الفقر والجمل والكلمات والأصوات كان ذلك القول جميلا، والقول بأن الجمال أمر نسبي يؤدي إلى توقف الحكم على أي شيء بالجمال على طبع الناظر وإدراكه له، فإن كان طبعه سليما مستقيما أدرك الجمال وتحسّسه، وإن كان ذا طبع مرّ مريض وجد مرّاً به الماء الزلالا كما يقول المتنبي، فتوقف ادراك الجمال على حسن طبع المدرك له وإمكانياته الذهنية في تفهم حقيقته ومزاجه النفسي في تحصيله، فيؤدي إلى حدوث ارتباك في تقويم الجمال وحقيقته لشيء واحد، وهذا الاختلاف مما لا حصر له وغير مراد في تقويم الأشياء، لأن المفترض تحديد الأشياء من دون دخل للأمزجة والأهواء والظروف المحيطة بالمقوم المحدد لماهيات الأشياء.

لقد نجم عن هذا اختلاف في تقويم الجمال، فيرى فريق أن الجمال يمكن رصده بالعقل، من خلال وضع قواعد وقوانين تجعل للجمال معيارا، من اقترب منه واتصف به يكون جميلا، وهذه القواعد الجمالية مأخوذة من الأشياء والأفعال والأقوال، ومهمة الدارسين تحديد عناصر الجمال، فإن اقترب العمل الأدبي الإبداعي منها كان يستحق الاتصاف بالجمال، فالتقويم الجمالي هنا يكون عقليا قواعديا محضا، في حين يرى فريق آخر أن

---

(١) فلسفة الجمال بين الحقيقة والخيال، قيس هادي أحمد: ٤٧، وينظر مقال عبد المجيد العابد (الجمال بين الذاتي والموضوعي)، ضمن مجلة عود الند، مجلة ثقافية شهرية متاحة على الشابكة، www.oudnad.net.

(٢) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م: ٨٦.

العنصر العاطفي والوجداني هو الفعال في تذوق الجمال وتقويمه، وأجد في هذا الرأي مغالاة واضحة أيضا؛ لأنه يحيل تحديد الجمال إلى مواصفات غير منضبطة، لأن الحكم العاطفي المجرد عن العقل يعطي أحكاما غير منضبطة في وصف الشيء الواحد بالجمال، ويجعله يختلف باختلاف وجدان الناظر إليه وعاطفته الخاصة، كما يهدر هذا الرأي كل المحاولات التي انكبّ الدارسون عليها في تحديد عناصر الإبداع والجمال والخير والحسن في الأشياء والأقوال والأفعال وقواعدها، كما يغدو الرأي العقلاني المجرد عن العاطفة في تحديد الجمال فيه مبالغة أيضا؛ لأن توافر عناصر الجمال في الشيء المحكوم عليه والنص الأدبي موضوع النقد لا يكفي لتذوقه العقل الناقد، من دون عاطفة متدفقة تعيش أجواءه ومناخاته لتتذوق الحقيقة الجمالية وتعيش أجواءها الخاصة بها، وهنالك انقسام فلسفي عولج في الدراسات النقدية الأدبية، حول علاقة الجمال بالخير والنفع، فمنهم (ديمقريطس) من رأى أن الجمال هدف في حد ذاته للفن والعمل الأدبي، ولا توجد أية علاقة ضرورية بينه وبين القيم الأخلاقية، وهم دعاة الفن للفن، ويرون أن خير الشعر أكذبه، وكلما التزم الفنان والأديب بالمبادئ الأخلاقية والقيم النبيلة ضعف عمله الأدبي ولانَ، في حين رأى فريق آخر(أكسينوفان وسقراط) أن الجمال وثيق الصلة بالخير والكمال الأخلاقي والمنفعة، وهم دعاة الفن للحياة، وقديما: " أخضع ارسطو الجمال لمبدأ الغائية، فالشيء الجميل ما كان له فائدة للإنسان، مع العلم أنه ليس كل جميل مفيدا والعكس"[١]، ويرون أن الأدب الذي يستحق بالجمال هو ذلك الأدب القائم على المضامين الإنسانية النبيلة، التي تعالج الواقع السيء، وتنتشل الإنسان من براثن الضعف والأزمات المحيطة به من كل جانب، ويرون في الأدب الجميل من دون هدف مجرد ترف زائل لا ينبغي الانشغال به، وتضييع الوقت في تحديد جمالياته ونقده، وأعتقد أنه مجرد خلاف شكلي لا وجود له في الواقع، إذ لا وجود لعمل فني أو أدبي لا يعيش الواقع، ولا يريد إيجاد حلول لأزماته وإشكالياته، كما لا يوجد عمل إبداعي يمكن أن نحكم عليه بالجمال وهو خال من عناصر الجودة والإبداع، والتركيب الفني المستثمر إمكانيات اللغة وطاقاتها التعبيرية من أجل إنفاذ فكرته وتحقيقها، بل إن الأدب الذي يحكى للتسلية والترفيه

---

(١) فصول في علم الجمال، رؤوف البرجاوي، بيروت، دار الآفاق العربية، ط ١، ١٩٨١م: ٢٢.

يخدم حاجة إنسانية تتوق إلى الراحة من أعباء الحياة ومشكلاتها، لأن النفوس تصدأ كما يصدأ الحديد فتحتاج للترويح حينا بعد حين، إن: " العمل الفني لا يعتمد دائما على الإيهام، بل يشير كذلك إلى ما يقع خارجه، فالفن يبدو موجودا لذاته ومع ذلك لا يبدو موجودا لذاته، وهو يخاطب جمهورا معينا تتحكم فيه الظروف التاريخية والاجتماعية"(١).

إن الحكم على النص الأدبي بالجمال يقوم على عنصرين: المضمون والشكل، أو المعنى واللفظ، والخلاف الدائر بين الفريقين السابقين أعني أنصار الفن للفن وأنصار الفن للحياة، يقوم على المستوى المضموني، فإن كان المضمون يصب في خدمة الواقع كان العمل الأدبي جميلا، وإن كان يعيش في خيالات لا تناقش الواقع بل تهرب منه؛ لتوجد عالما خاصا بها فليس ذلك الفن جميلا، مع: " أن الفن لا يمكن أن يكون هو الحياة نفسها، ولكن من الخطأ أن نقول إنه ليس من الحياة في شيء"(٢)، ولو عدنا إلى حقيقة الجمال لوجدناه يشمل الجانبين الشكلي والمضموني معا، وإنّ قصر صفة الجمال على المضمون ابتعادٌ عن حقيقة الشيء الجميل، فالجميل هو في شكله ومضمونه، والنص الأدبي الجميل هو الذي يكون مشتملا على جملة من الأمور اللغوية صوتياً وصيغياً وتركيبياً تخدم الدلالة وتحفرها في أذهان المخاطبين، وهذا الجمال الشكلي يعطي للمضمون جمالا ينثال عليه، ولو عدنا إلى آيات القرآن الكريم لوجدنا عناصر الجمال الشكلي الكامنة في المكونات اللغوية، لكلماته وجمله وفقره ومقاطعه وآياته وسوره، مع علو المضمون وسموه، أعطت للمضمون صورة بالغة الدقة والعمق تؤثر في نفوس السامعين، وتبهرهم طريقة النظم والتأليف له.

وخوفا من الإطالة، فالجمال لغةً واصطلاحاً: يشمل الشكل والمضمون، والأحوال الظاهرة والباطنة، والفعل والقول والنفس، وأن النص الأدبي الجميل هو النص الذي حسن شكله اللغوي، ونظمه التأليفي المناسب للمقام ومقتضى الحال، وحسن مضمونه الناجم عن أهميته في خدمة الإنسان جِداً ومرحا، وحاجة وترفا، وأما علم الجمال فهو: "علم

---

(١) فلسفة الفن وعلم الجمال، علي شناوة وادي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١١م: ٤٨.

(٢) م . ن: ٤٩.

معياري فلسفي يدرس المبادئ العامة للموقف الجمالي الإنساني إزاء الواقع والفنون"[١]، ويعد باومجارتن أول من استعمل مصطلح (الأستطيقا) للدلالة على علم الجمال، يبحث في العلاقة بين الشعور والكمال، وجعل مهمة علم الجمال التوفيق بين الشعور الحسي والكمال العقلي، أو بين الشعر والفلسفة[٢].

- **الجمالية:** ويقصد بها العناصر والمكونات التي يشتمل عليها الجميل، فالجماليات في النص الأدبي هي تلك القيم المضمونية النبيلة التي يحتويها العمل الأدبي، والتي يبرزها الأديب من خلال تشكيل لغوي جمالي يتسم بالقدرة على استحضار المكونات اللغوية المناسبة، وصياغتها بطريقة يلتزم فيها بالصياغات النظمية المعبرة والمؤثرة في الارتياح والسرور، والباعثة في نفس المتلقي اللذة التي ينتشي بسببها متذوق الجمال ومتحسسه، فالنص الأدبي الذي يثير عند المتلقي الإحساس بالجمال يحتوي على عناصر جمالية، راجعة إلى الجانب المضموني الذي يريد الأديب إيصاله، فالفن كما يرى البعض: " يجب أن لا يفقد غائيته وأن يرتبط بتطبيقاته العملية التجريبية ذات المنحى الإنساني الشمولي، وأن القيم الجمالية لا تنفصل عن القيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية لدى الشعوب على مستوى التحولات الحضارية التاريخية"[٣]، وإلى الجانب الشكلي القائم على مراعاة قوانين اللغة وأسرارها ودقائقها التعبيرية بانتقاء ما يناسب المقام ومقتضى الحال، لكن عملية إدراك تلك العناصر الجمالية مما يختلف حوله الدارسون والنقاد، ولذا تعد سلامة الحواس وآلة الذوق مهمة في تذوق وإدراك تلك الجوانب الجمالية شكلا ومضمونا، لقد ذكر الآمدي (ت ٦٣١هـ) أن من العلل في الحسن والقبح ما لا يمكن أن يدرك إلا بالدربة وطول الملابسة وهو الذوق، فمن كان ذوقه مشاكلا للدربة والدراية والتجربة فقهها، ومن حجب عنه الذوق فلا، فالذوق والمعرفة هما المشكلان الرئيسان لعملية التذوق كأداة فاعلة في النقد[٤]، فجميع النتاجات الفنية عموما كبنى استطيقية تعد منبهات خارجية، تتأثر بها إحساسات

(١) علم الجمال، سوسن بيطار، مقال متاح على الشابكة، www.arab-ency.com.

(٢) علم الجمال، د. يعقوب البيطار، منشورات جامعة تشرين، ط ١، ٢٠٠٩م: ٦٤.

(٣) فلسفة الفن وعلم الجمال، وادي: ٦٠.

(٤) إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر، خليفة بن عربي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠١١م: ١٤.

المتلقي من خلال حواسه العضوية والنظام الفسلجي الذي تقوم عليه، واشتراط سلامة هذه الحواس في استقبال ما يمكن استقباله من مثيرات الظواهر الجمالية ، كما يعدّ المنحى المعرفي الثقافي الذي يمثل جزء حيويا من الخبرة الشخصية لدى المتلقي، وأقصد بالثقافي هنا ليس على مستوى الاطلاع الدراسي الأكاديمي، بل أيضا على مستوى الخبرات الإثرائية التي ترتبط بالمحتوى الشكلي، يضاف إلى ذلك متغير العادات والقيم، حيث يمنحنا هذا المتغير موقفا استطيقيا، يمتاز بالخصوصية والتفرد في رؤية وسماع الأشياء، ويضيف مستوى الذكاء لدى المتلقي ونمط التفكير السائد لديه، إن كان تفكيرا تأمليا أو نقديا أو علميا أو خرافيا دورا بارزا في إدراك الجمال ... وبالتالي فالحكم الجمالي يتفاوت هو الآخر بين المتلقي العادي والفيلسوف الصوفي، فلا موضوعية محددة أو صارمة في القيم الجمالية الموضوعية، إنما تتمثل بالوعي لفهم حقيقة هذه القيم وإطلاق الأحكام الاستطيقية وفق المنطلق الجمالي بتحولاته وتبدلاته(١)، ويرى البعض أن الجمالية في العمل الأدبي لا تكمن في مضمونه، بقدر ما تكمن في طريقة عرضه، وكيفية صياغته، بقوله: "إن القيمة الجمالية في النص هي محور تكوين الاندهاش وعنصر إيجاد المفاجأة بغض النظر عن تحديد أبعادها، فالجمال عند البعض يتعدى سطحية المعنى لينطلق الى كل جديد مدهش يحصل عليه المتلقي من النص، حتى لو كان قبيحا في معناه، فالجمال الطبيعي كما يقول (كانت) هو الشيء الذي تتوافر له صفة الجمال، أما الجمال الفني فهو التقديم الجميل للشيء، أي أن التعبير الفني جميل في تقديمه وطريقة عرضه بما يحتويه من صور شعرية وإيحاءات وخيال وتعابير مؤثرة"(٢)، في حين يرى آخرون أن أخصّ ما تمتاز به الجمالية إصرارها على البعد القيمي واستثماره داخل العملية النقدية بوصفه عنصرا يندرج ضمن السياق التداولي لكل خطاب(٣)، فالجمالية هي : "علم يبحث في

---

(١) ينظر فلسفة الفن وعلم الجمال، وادي: ٧٢– ٧٧.

(٢) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م : ٣٣٦.

(٣) ينظر الجمال والجمالية في الرؤية النقدية للدكتور عماد الدين خليل، مقال ورقاء محمد قاسم، متاح على الشابكة، http://www.wata.cc/forums

معنى الجمال من حيث مفهومه وماهيته ومقاييسه ومقاصده"(١)، وجمال الفن اللغوي يكمن في بلاغة اللفظ، ومن هنا كانت البلاغة العربية هي علم الجمال الادبي عند العرب، ومفاهيم البلاغة العربية وأسسها وقواعدها هي مفاهيم الجمالية الادبية في تراث العرب الفكري.

- **التواصل:** ذكر الجوهري معاني عديدة للوصل، بقوله: "وصلت الشيء وصلا وصلة، ووَصَلَ إليه وُصُولاً أي بلغ، وأوصله غيره، ووصل بمعنى اتصل، أي دَعا دعوى الجاهليَّة، وهو أن يقول يا لفلان، قال تعالى: (إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ/ النساء– آ: ٩٠) أي يَتَّصِلونَ، والوَصْلُ: ضدُّ الهِجرانِ، والوَصْلُ: وَصْلُ الثوبِ والخُفِّ، ويقال: هذا وَصْلُ هذا، أي مثله، وبينهما وُصْلَةٌ، أي اتِّصالٌ وذريعة، وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وُصْلَةٌ، والجمع وُصَلٌ"، فقد جاءت هذه المادة لمعاني البلوغ والدعاء وجزء الشيء والاتصال، ويجمع هذه المعاني المتعددة معنى عام وهو الوصل بمعنى الارتباط والتواصل وعدم القطيعة والهجران، وأما التواصل فذكره ومقارباته بقوله: " والتَواصُلُ: ضد التصارم، ووصله توصيلا، إذا أكثر من الوصل، وواصَلَهُ مُواصَلَةً ووِصالاً، ومنه المواصلة في الصوم وغيره"(٢)، فقد دلّ التواصل على الوصال مبالغة؛ لأن صيغة التفاعل تدل على المشاركة وزيادة، فالتواصل لا يكون إلا بين اثنين فصاعدا يجمع بينهما شيء يتواصلان على أساسه ويرتبطان بسببه، وقد اهتدى الإنسان إلى جملة من العوامل تحقق التواصل بين أفراد الجنس البشري، كالإشارة والكتابة إلا أن أعلاها تعبيرا وأسهلها استعمالا وأغناها دلالة هو العامل اللغوي اللساني، الذي يجمع بين أفراد الأمة الواحدة فيما بينها وبين الأمم الأخرى عن طريق الترجمة والتفسير، وهكذا تتجلى أهمية اللغة في كونها رابطا يحقق المقدرة على التواصل بين الأفراد والشعوب، في الأفكار والعواطف والقيم ومختلف أنشطة المجتمع الإنساني، وأما الدلالة الاصطلاحية للتواصل

---

(١) معنى الجمال، نظرية في الأستطيقا، ولترتستيس، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة بمصر، ٢٠٠٠م: ٩٤، ولينظر مفهوم الجمالية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية– فريد الأنصاري، مقال متاح على الشابكة: ٣٨، www.hiramagazine.com.

(٢) الصحاح، الجوهري: ٥/ ١٨٤١.

فنابعة من دلالته اللغوية مع توسع فيها، فهو:" التبادل التفاعلي بين شخصين فأكثر عن طريق استعمال رموز لفظية وغير لفظية يتم على أساسها التفاهم والارتباط الذهني بينهما"[١]، ومن دون وجود تلك الرموز التي يفهمها كل من المتخاطبين تنعدم عمليات التفاعل ونقل الأفكار فيما بينهما، ولذا نجد في بيان حكمة إرسال الرسل بلسان أقوامهم تأكيداً لعمليات التبادل التفاعلي فيما بين الرسل وأقوامهم؛ لتتم عمليات الإقناع والاستجابة لهم، كما في قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ/ إبراهيم–آ: ٤)، فالتبيين لفكره عن طريق وجود لغة مشتركة، يؤدي إلى التواصل والارتباط بين الطرفين؛ لتتم عمليات نقل الأفكار والمعتقدات والتشريعات، كما أن التواصل بين المخلوق والخالق وإيجاد العلاقة بين الطرفين، استدعت أن يخاطب الخالق المخلوقات بلغات يفهمونها، وعلى وفق تصوراتهم وإدراكاتهم، بما يحقق توثيق الارتباط بين المخلوق والخالق، وإيجاد حلقات التواصل والشعور بالقرب منه والارتباط به.

يصف ميشال زكريا العملية التواصلية بقوله:" ينطلق الشخص الأول أو المتكلم خلالها من دلالات ومعان كامنة في ذهنه، فيحرك أوتاراً معينة في حلقه، فتصدر عنه إشارات صوتية، تتنقل هذه الإشارات الصوتية عبر الهواء، فيلتقطها الشخص الثاني أو المستمع، ويعيها عبر جهازه السمعي إلى أن تصل إلى ذهنه، ولا بد من أن تتوافق خلال عملية التواصل الدلالات التي يرسلها المتكلم مع الدلالات التي تصل إلى ذهن المستمع لإنجاح عملية التواصل"[٢]، فالتواصل لا يتم إن لم تكن الدلالات التي يرسلها المتكلم مما يستطيع المخاطب أن يفقهها ويحللها ويتوصل من خلالها إلى مراد المتكلم، وتلك الدلالات التي تحملها الرموز الصوتية قد تمّ التعرف عليها بعلم مسبق على عملية التواصل اللغوية، حيث يعرف المتخاطبان تلك الرموز اللغوية وأنها موضوعة لتلك الدلالات لا تحتمل غيرها، ويرى شارل كويي أن التواصل: " يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم، والحركات ونبرة

---

(١) البعد التواصلي للغة، عبد النور القلعي، بحث متاح على الشابكة، شبكة صوت العربية، www.voiceofarabic.net.

(٢) الألسنية (علم اللغة الحديث)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٣م.

الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون، وكل ما يشمله آخر ما تمّ من الاكتشافات في المكان والزمان"[١]، فالتواصل أعم من استعمال اللغة لتحقيقه، فهو كل رمز وعلامة تؤدي إلى الإفهام ونقل الأفكار والمشاعر بين المجتمعات؛ لأن الدلالات أعم من أن تكون لفظية فقط، لكن الدلالة اللفظية التي يعرف أهل التخاطب دلالاتها بالوضع هي أعلى الدلالات تحقيقا للتواصل ووظائفه المتعددة، فاللغة وسيلة مهمة لتحقيق التواصل، والتواصل يحقق أهدافا جمة للمجتمع الإنساني، ومن تلك الأهداف: اكتشاف الإنسان ذاته والعالم المحيط به، فمن دون التواصل مع الآخرين عبر اللغة لا يعرف الإنسان ذاته وطبيعته والعالم المحيط به، فالتواصل ههنا يحقق هدفا تعليميا، يساعد الإنسان من خلال تبادل خبراته مع الآخرين على اكتشاف نفسه وحقيقتها، وما يتعلق بها من علوم ومعارف، ويتمثل الكون والعلاقات والقوانين التي تسيره، فيعي الوجود ويعمل على تسخيره لأغراضه النبيلة، وبواسطة اللغة التي هي أساس عمليات التواصل تتم عمليات تحويل ما يدركه العقل عن هذا الوجود، من علاقات وقوانين تحكمه إلى رموز لغوية يفهمها من قصر ذهنه عن تلك الإدراكات، أو كان منشغلا بقضايا أخرى تهمّ الوجود الإنساني، فباللغة نتواصل وبمحتواها ننقل أفكارنا عن أعظم القضايا الوجودية التي نعيشها، وعن أتفه الأمور التي نحس بها، حيث لا يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذا الوعي بالوجود والتحكم فيه والإفادة منه إلا بمعية أخيه الإنسان، لذلك فهو يحتاج إلى اللغة للتواصل معه وللتفكير الجماعي لبلوغ هذه الأهداف، وبالتواصل تتحقق سمة التقارب وبناء العلاقات الحميمة مع الآخرين، وصيانة هذه العلاقات وحمايتها من أسباب التصارم والقطيعة، كما يحقق التواصل هدفا مهما للتعايش ألا وهو الإقناع والإفهام، ومن دونهما لا تقوم أية عملية تعليمية أو نصح ديني أو حركة ثورية أو نشر سلوك قيم ضد تصرف مشين، ما يؤدي إلى تحقيق الرقي والازدهار للحياة البشرية، يقول جون جوزيف في كتابه اللغة والهوية:" لقد عرف اللغويون والفلاسفة الغايات الأساسية للغة تقليديا من خلال أحد البعدين التاليين أو من خلالهما معا:

---

(١) معجم علوم التربية، عبد اللطيف الفارابي وآخرون، سلسلة علوم التربية، العدد ٩- ١٠، دار الخطابي للطباعة والنشر، ١٩٩٤م: ٤٣.

– التواصل مع الغير، إذ يستحيل على بني البشر العيش في عزلة.

– تمثّل الكون لأنفسنا في عقولنا.

ويقول طلعت منصور: "فالوظيفة الأولية للكلام واللغة – وهي الوظيفة الاتصالية– هي بالدرجة الأولى وسيلة المعاشرة الاجتماعية، وسيلة التعبير والفهم، ومن حقائق علم النفس استحالة الفهم وتواصله بين العقول بدون وجود تعبير وسيطي"(١)، و يؤكد ذلك أيضا، أندريه مارتيني، حيث يقول:" إن الوظيفة الأساسية للغة هي وظيفة التواصل... وإذا كانت اللغة تتغير عبر الزمن، فلكي تتلاءم بشكل أساسي مع إشباع حاجات التواصل للجماعة التي تتكلم تلك اللغة"، والبدايات الأولى لنظرية التواصل نلمحها عند دي سوسير حين تكلم عن عملية التحاور ونقل الأفكار(٢)، ثم جاء الباحث الألماني بوهلر فذكر ثلاثة محاور تقوم عليها العملية التخاطبية: المرسِل والمرسَل اليه والرسالة(٣)، واستطاع جاكبسون تطوير هذه المراحل لتكون ستة عوامل يستلزمها التواصل اللغوي، وهي: المرسِل أو الباث أو المخاطِب، والمرسَل إليه، ولا بد أن يكون قادرا على فهم الرسالة، والرسالة، سواء كانت لفظية أم غير لفظية، والمرجع وهو المتحدث عنه، ولا بد أن يكون مقبولا وواضحاً، والسنن وهو نظام الترميز الخاص بين المرسل والمتلقي، أي النظام اللغوي المستعمل، فلا بد من وجود نظام لغوي مشترك بينهما؛ لتفهم الرسالة وتؤول ويدرك موضوعها ومرجعها، وقناة الاتصال وهي الهواء الناقل، وغيرها من القنوات كالمذياع والانترنت والتلفاز.. الخ، ولقد حدّد جاكبسون العوامل الستة المذكورة من أجل التوصل إلى الوظائف التي تقوم بها هذه العوامل، لأنه يرى أن اللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها، فكل أسلوب لساني لا بد له من وظيفة، فالتواصل اللغوي لا بد أن يتضمّن وظائف لغوية، فاللغة بمكوناتها لها وظائف لأنها قائمة على التواصل، فذكر جاكبسون ست وظائف للتواصل اللغوي، وهي: الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، وتعبر عن

---

(١) سايكولوجية الاتصال، طلعت منصور، عالم الفكر، المجلد ١١، العدد ٢، ١٩٨٠م: ١٠٥– ١٠٦.

(٢) علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك يوسف المطلبي، دار آفاق العربي، بغداد، ١٩٨٥م: ٣٠.

(٣) قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م: ٣٠.

عواطف المرسل ومواقفه إزاء الموضوع الذي يعبر عنه، وينبغي التركيز على الوحدات الدلالية اللسانية وعلى الاختلافات الانفعالية غير اللسانية، أي طريقة أداء الرسالة والانفعالات المصاحبة لها لفهم وإدراك الموضوع المتحدث عنه، والوظيفة الإفهامية أو التأثيرية، وتتعلق بالمتلقي وتحصيله المعاني التي يريد المتكلم إيصالها إليه، وتأثره النفسي والسلوكي عند سماع الرسالة، والوظيفة التنبيهية، من خلال اشتمال الرسالة على عناصر لغوية تثير انتباه المتلقي وتجعله متواصلا مع المتكلم، والوظيفة المرجعية أو الموضعية أو المعرفية أو السياقية، ويقصد بها العلاقة بين الألفاظ والأشياء الخارجية، لأن اللغة تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إليها، والوظيفة التعريفية أو الماورائية اللغة[١]، وهي لجوء المتكلم إلى تفسير كلمات وجمل يحسّ أن المتلقي لا يفهمها، فيبين معناها لإبقاء عملية التواصل قائمة، وأخيراً الوظيفة الشعرية، وهي الوظيفة الجمالية للرسالة[٢] في شكلها ومضمونها.

ومما لا شك فيه أن النصوص النبوية قد اشتملت على هذه الوظائف، إلا أن الذي يخص بحثنا هذا المقتصر على دراسة جماليات التواصل الكلامي، من خلال النصوص الإرشادية النبوية للمتكلمين، بضرورة احتواء كلامهم على ما يثير الجمال لدى المتلقي، من خلال استغلال الوظيفة الشعرية للغة، مع تحقيق وظائف الإفادة والإفهام، دون هيمنة جمال النص اللغوي على جمال الفكرة والهدف والموضوع.

- **الكلام**: أصل مادته من الكلْم بمعنى الجرح والتأثير، يقال: كلَمَه كلْما جرحَه، فهو مكلوم وكليم[٣]، وقيل: سمّيت الكلمة والكلام بذلك؛ لأنهما يؤثران في السامع، والكلام في أصل اللغة: الأصوات المفيدة والعبارات المفهمة، وكلّمه تكليما حدّثه، "وَفِي تاج العروس: الكَلامُ لُغَةً يُطْلَقُ على الدَّوَالِّ الأربَعِ، وعَلى مَا يُفْهَمُ من حَالِ الشَّيء مَجَازًا، وعَلى التَّكَلُّم، وعَلى التَّكْلِيم كَذلِك، وعَلى مَا فِي النَّفْسِ من المَعَانِي الَّتِي يُعَبَّرُ بِهَا، وعَلى اللَّفْظِ المُرَكَّبِ أَفَادَ أَمْ

(١) قضايا الشعرية، جاكبسون: ٣١.

(٢) السيمياء، بيارغورو، ترجمة: أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط١، ١٩٨٤م: ١٢.

(٣) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين: ٢/ ٧٩٦.

لَا مَجازًا، على مَا صَرَّح بِهِ سِيبَوَيْهِ فِي مَوَاضِع من كِتابِه مِن أَنَّه لَا يُطْلَقُ حَقِيقةً إِلَّا على الجُمَلِ المُفِيدَةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ ابنِ جِنِّي، فَهُوَ مَجَازٌ فِي النَّفْسَانِيِّ، وقِيلَ: حَقِيقَةٌ فِيهِ، مَجازٌ فِي تِلْك الجُمَلِ، وَقيل: حَقِيقةٌ فِيهما، ويُطْلَقُ عَلَى الخِطَابِ[١]، وعَلى جِنْس مَا يُتَكَلَّمُ بِه من كَلِمَةٍ وَلَو كانَتْ على حَرْفٍ كواوِ العَطْفِ أَو أَكثرَ مِنْ كَلِمَةٍ مُهْمَلَةٍ أَوْ لَا، وعَرَّفه بَعضُ الأَصُولِيّين بِأَنَّه المُنْتَظِمُ مِنَ الحُرُوفِ المَسْمُوعَةِ المُتَمَيِّزَة "[٢]، وفي اصطلاح النحويين: هو اللفظ المركب المفيد بالوضع المكتفي بنفسه المقصودُ لذاته، سواء كان اللفظ الدال عليه كلمة واحدة في الظاهر كـ(استقمْ)، أو مجموعة من الجمل المفيدة معاني كثيرة، والفرق بينه وبين اللفظ أن الكلام خاص بالدال على معنى بخلاف اللفظ الذي يطلق على الأصوات المفيدة وغيرها، فالعلاقة بينهما عموم وخصوص مطلق، وأما علاقة الكلام باللغة، فهو أن الكلام يطلق على ما يتم التكلم به فعلا من اللغة، أما اللغة فهي اسم للألفاظ الموضوعة سواء تكلم بها فعلا أو لا[٣]، والعلاقة بين الكلام والقول علاقة عموم وخصوص مطلقين، فالقول يطلق على الكلمة والكلام والكلِم، ولذا آثرنا تسمية الكلام على غيرها من الألفاظ المقاربة لها في الدلالة اللغوية والاصطلاحية؛ لدقة دلالته على المراد، لأن الإرشاد النبوي حول الاستعمال الجمالي الدقيق للخطاب، مما يصدق عليه الكلام، بخلاف اللغة والقول واللفظ، فآثرنا استعمال التواصل الكلامي لذلك، ولأنه الأنسب في مقام الإفادة والحديث من غيره.

وقد عثرنا على حديث نبوي يربط بين الجمال والكلام المنطوق باللسان، فقد أورد الجاحظ أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: فيمَ

(١) فرّق التهانوي بين الكلام والخطاب أن الخطاب أخص من الكلام؛ لأنه قصد به إفهام من هو متهيء لفهمه، في حين أن الكلام قد يقصد به ذلك وقد لا يقصد، ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، محمد علي الفاروقي (ت بعد ١١٥٨هـ) ، تصحيح: محمد وجيه وعبد الحق وغلام قادر، كلكتا، ١٣٦٢هـ : ٢/ ١٧٥.

(٢)تاج العروس، الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني(ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية : ٣٣/ ٣٧١.

(٣) علم اللغة العام، دي سوسير: ٣٨.

الجمال؟ قال: في اللسان[١]، وورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)[٢]، ففي النص إشارة إلى الفرق بين الجمال والأخذ بأسبابه وبين الكبر الذي يؤدي إلى عدم دخول الجنة، والكبر المفسّر بغمط الناس قد يتحقق بالفعل والقول، والجمال المعبر عنه بالحسن يكون بالفعل والقول أيضا، ونلحظ في تعليل النبي صلى الله عليه وسلم عندما أوكل الأذان إلى بلال رضي الله عنه إشارة إلى الجمالية الصوتية المؤثرة في الأسماع المؤدية للاستجابة إلى الصلاة، حيث يقول: (إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ)[٣].

(١)البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ : ١/ ١٥٣، وينظر: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الحكيم الترمذي(ت ٣٢٠هـ)، محمد بن علي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الجيل: ٤/ ٣٦، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير– ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)، أبو حفص عمر بن علي، مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان ويار بن كمال، الرياض، دار الهجرة، ط ١، ٢٠٠٤م : ٨/ ٤٥٥، وقال: هَذَا الحَدِيث رَوَاهُ الْحَاكِم فِي «مُسْتَدْركه» فِي تَرْجَمَة الْعَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْه... وَهَذَا مُرْسل لَا جرم، قَالَ ابْن طَاهِر فِي «تَخْرِيج أَحَادِيث الشهَاب»: إِنَّه مُنْقَطع ثمَّ سرد السَّند الَّذِي ذكرته، ثمَّ قَالَ: هَذَا إِسْنَاد مَجْهُول. قلت: وَله طَرِيق آخر بإسنادٍ مظلم رَوَاهُ الْخَطِيب الْبَغْدَادِيّ من حَدِيث أَحْمد بن عبد الرَّحْمَن بن الْجَارُود الرقي، ... ثمَّ قَالَ: أَحْمد هَذَا كَانَ كذابا، وَمن بلاياه هَذَا الحَدِيث، وذكره ابْن طَاهِر أَيْضا فِي الْكتاب الْمَذْكُور، وقَالَ: لَعَلَّه من ابْن الْجَارُود، فَإِنَّهُ غير مُعْتَمد، وَمُحَمّد بن مُصعب لَيْسَ بِشَيْء، وينظر تمام تخريجه في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة، السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، محمد بن عبد الرحمن: ١/ ٢٨٤.

(٢) صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/ ٩٣.

(٣)سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني(ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت : ١/ ١٣٥، ولينظر: سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى(ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥م: ١/ ٣٥٨، سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد(ت ٢٧٣هـ)،

وبعد أن توضح المراد من العنوان نشرع في دراسة النصوص النبوية التي تمثلت فيها الدعوة الجلية إلى أن يبتغي المتكلم المسلم من حديثه تحقيق التواصل اللغوي الجمالي (الشعري) بينه وبين الآخرين شكلا ومضمونا، بمراعاة الصدق الفني والواقعي معاً؛ لتحقيق فوائد الخطاب التي من أهمها التأثير في السامع وإقناعه، وتنمية الأواصر والعلاقات المجتمعية التي يحققها المستوى اللغوي.

- **النماذج التطبيقية:**

لقد حرص الإسلام على تعزيز العلاقات الإنسانية، وتنمية الروابط المجتمعية، وجعل الحكمة من خلق الناس شعوبا وقبائل هي التعارف والترابط والاندماج بالآخرين، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا/ الحجرات– آ: ١٣)، ونهى عن التقاطع والتباغض؛ ومن أهمّ الوسائل التي يتحقق فيها التواصل بين الأفراد والأمم هو العامل البياني اللساني، قال تعالى: (خَلَقَ الْإِنسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ/ الرحمن–آ: ٣–٤)، فبالبيان يعرفك الآخرون وتعرف الآخرين، لكن هذا البيان المجعول وسيلة للتقارب والتواصل قد يكون آلة للتباغض والتقاطع والانعزال، ويستحق المتكلم عليه العقاب كما دلّ عليه قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ/ ق– آ: ١٨)، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخاري: (حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِب»)(١)، فلذا حرص الإسلام على البيان الصادق الواضح الجميل، حتى يستعمل البيان في الموقع الذي أريد له، ولا ينحرف إلى المعاني المؤدية إلى النتائج المحققة للتقاطع والتباعد، كما يصرح بذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري: (حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ القُرَشِيُّ،

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر: ١/ ٢٣٢، مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ): ٢٦/ ٤٠٢.

(١) مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠١م : ٨/ ١٠٠– ١٠١.

قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ»(١)، فقد أراد الإسلام تحقيق وظائف البيان اللغوي من الإفهام، المؤيد بالحجة الواضحة النافعة، مع الحرص على الجمال في تأليف النص واختياره، ليكون النص جامعا بين جمال الفكرة وجمال العرض والتشكيل البياني، وقبل الحديث النبوي نجد النصوص القرآنية الموجهة لقيمة البيان اللساني في عملية التواصل، فيمدح القرآن الكلمة الطيبة، فيقول: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ / فاطر– آ: ١٠)، فالبيان الطيب هو ذلك البيان الذي يعزز أواصر العباد فيما بينهم وأواصر العبد مع خالقه، فيكون مقبولا مستحقا للثواب، ويشبه القرآن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، والكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة، فالشجرة الطيبة ذات أصول ثابتة ولها قبول عند الله تعالى، والشجرة الخبيثة يتعاهدها الفلاّح بالقطع والإزالة، وكذلك البيان الطيب والكلام المفيد للإنسانية والمعزز لعلاقات التواصل البشري، يكون مقبولا ونافعا عند الله تعالى والناس، والبيان الخبيث المضرّ المؤدي للهدم يكون منبوذا عند الله تعالى والناس؛ لأنه استخدم الوسيلة في غير ما وضعت له، حيث وضعت للتواصل والتقارب واستعملها للتباعد والتقاطع، أو أخرجَها عن وظيفتها الأصلية في بيان الحالة التي عليها الإنسان، ولذا يوجه القرآن أولئك الذين ادعوا حصول الإيمان القلبي بالإسلام، بأن يقولوا: إننا أسلمنا بالأعمال الظاهرة دون الإيمان الباطن، في قوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ / الحجرات– آ: ١٤)، فقد استعملوا آلة التواصل اللغوي في غير الحقيقة التي يعيشونها، فهم مجرد مسلمين يؤدون الأعمال الظاهرة من الصلاة والزكاة.. الخ، لكنهم لم يدخلوا حقيقة الإيمان الذي تلامس العقيدة فيه القلب والشعور والضمير، وينعى على أولئك المزيفين للحقائق في دعواهم أن ما كتبوه من تحريفات هي من عند الله تعالى، فيوبخهم القرآن على سوء ما صنعوه ونسبوه إلى غيرهم، يقول تعالى: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ

(١) م . ن: ٨/ ١١– ١٢.

يَعْلَمُونَ/ آل عمران- آ: ٧٨)، فالبيان الصادق المبني على الحجة يحقق الجمال المضموني، والقيم الأخلاقية التي ينبغي أن يعيش الإنسان في كنفها من دون تزوير وتزييف، لأنه بذلك يخدع نفسه ويجلب الخديعة للآخرين، فلا يحقق التواصل اللغوي مقصديته الأخلاقية والقيمية؛ لأنه عامل هدم للمبادئ الصادقة، التي ينبغي جعل البيان ناشرا لها مظهرا لأهميتها مشعرا الآخرين بجدواها، كما بيّن القرآن الحكيم مستويات التواصل اللغوي بين المتكلم والمتلقي، حتى تبقى عملية التواصل قائمة محققة الغرض الذي سيقتمن أجله، يقول تعالى: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ/ النحل- آ: ١٢٥)، فهنالك البيان الحكمي القائم على الدليل والبرهان، وهذا البيان يوجه إلى العقلاء الباحثين عن البرهان، المفتشين عن الدليل، فلا تتم عملية التواصل اللغوي ولا تحقق جدواها معهم من دون الاتكاء على ذلك، وهنالك آخرون ينبغي مخاطبتهم بالموعظة التي يورد فيها الدليل البرهاني بصورة تخييلية تضفي مشاعر الجمال والحماسة، حيث يهيمن عنصر العاطفة ويضعف صوت الخطاب العقلي؛ لأنهم غير متفاعلين معه، بل يكفيهم الصوت العاطفي والنبرة الانفعالية وإثارة الأحاسيس الوجدانية، وأما النوع الأخير فهم الذين يمتلكون مجموعة من الأدلة الموهومة المزيفة، التي اقتنعوا بجدواها، فينبغي مجادلتهم بالكلام الحسن الذي لا يهاجم مسلماتهم بشكل صريح، وإن فنّدها بشكل ضمني غير صريح، لأن ذلك الهجوم يؤدي إلى نتائج عكسية للداعي إلى سبيل الله ودينه الحق، وهنا لفت القرآن الكريم الانتباه إلى مستويات التواصل اللغوي وأهمية معرفتها؛ لتتمّ عملية الدعوة بشكل ناجح مؤثر.

وحاصل الأمر أن الإسلام تناول ملكة البيان بالاهتمام، وحدد مواطن استعمال طبقات البيان، وكيفية الاستعمال وصوره وأنواعه، والأهداف التي جاء البيان من أجلها والثمرات المجتناة من استعماله فيها، والعواقب الوخيمة من استعماله في ضدها، كما يرشد إليه تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم الشديد فيما أسنده البخاري: (حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ دِينَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ

سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»)[١]، ولم ينس القرآن أهمية الصدق والجمال الفني مع الصدق والجمال القيمي للكلام، لأن وصف الكلمة بالطيبة والقول بالحسن كما في قوله تعالى: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً/ البقرة– آ: ٨٣) يدل على أهمية اشتمال النص على الجماليات التشكيلية، بحيث تروق للسامع صياغة وإيقاعا مؤثرا في النفس، جالبا لها إلى دائرة القيم الصادقة الواضحة النبيلة، ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم بوظيفته رسولا تمثّل الحقيقة القرآنية، وتجسدت في أقواله وأفعاله وسائر شؤونه، داعيا إلى الله على بصيرة، فلا بدّ أن يهتمّ بملكة البيان، وأن ينبه على الأهمية القصوى التي يحتلها في حياة الإنسان عموما والمسلم خصوصا، وأن يفرد لها مساحة كبيرة ضمن توجيهاته التي أمره الله تعالى بها، حتى يتحقق التواصل المنشود بين المسلمين أنفسهم ومع غيرهم، وقد ساوى في التأثير بين الفعل المضر والبيان الخبيث فدعا إلى القول الخير أو إلى السكوت، وذلك فيما يرويه البخاري: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»)[٢]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب فلا بدّ أن يهتمّ عند تبليغ الرسالة المكلف بها، باشتمال بيانه على تحقيق الوظائف التواصلية للغة من: انفعالية وإفهامية وتنبيهية وتعريفية ومرجعية وشعرية، لأن التواصل اللغوي لا يمكن أن يحقق غرضه من دونها والاشتمال عليها، والذي يهمنا في هذا البحث هو الحرص النبوي على تحقيق الكلام لوظيفة الإفهام ونقل الأفكار إلى المتلقي بالطريقة الشعرية الجمالية، فلا جفاف في الاستعمال والخطاب، ولا هيمنة للجماليات على سبيل إيصال الحقائق المؤيدة بالبراهين، أي تحقيق ظاهرة الاعتدال في الخطاب النبوي بحيث يخدم الأسلوب عمليات نقل الموضوع المتحدث عنه، بالرسالة المشتملة على الصدق القيمي والمبدئي مع تحقيق الجماليات التشكيلية، المؤثرة

---

(١) صحيح البخاري: ٨/ ١٠١.

(٢) م . ن: ٨/ ١١.

في النفس البسط والارتياح والشعور باللذة عند سماع الجميل، ولكثرتها نتوقف على نماذج منها:

- **الصفة المشبهة والفعل:** وتمثل ذلك فيما أخرجه البخاري: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ". قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لاَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»)(١)، حيث نلحظ في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم للبراء بن عازب ظاهرة جمالية كلامية يبتغيها المتكلم ويقصدها المعلم، حيث نسي المتعلم كلمة (ونبيك) فوضع مكانها كلمة (ورسولك)، لكن بهذا الاختيار وقعت مشكلة التكرار بين (رسولك وأرسلت) فأحدث تفككاً في النص، ومما لا شك فيه أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبيٌ ورسول، وأن كل رسول نبي، لكنّ ذكر الرسول هنا في هذا المقام يؤدي إلى إلغاء وظيفة (أرسلت)؛ لأنه ما دام رسولا فقد أرسل، ويكون ذكر الفعل (أرسلت) زائدا وتطويلا للكلام من غير طائل، وتفكيكاً للترابط النصي، في حين أن ذكره صلى الله عليه وسلم بصفة النبوة العامة يكون ذكر إرساله مفيدا معنى جديدا، وهو أنه نبي أرسله الله بالكتاب والهدى، فيخرج الكلام من ظاهرة التكرار غير المفيد، وتتحقق جمالية كلامية بالمغايرة بين صفتي النبوة والرسالة، وأن اتصافه بالنبوة عن طريق ذكر الصفة المشبهة الدالة على الملازمة والثبوت، وذكر الرسالة بالأسلوب الفعلي الماضيّ، لتدل الصفة المشبهة على قدم نبوته، وأنه نبي في علم الله تعالى أزلا، ويدل الماضي على حدوث الإرسال والبعث له وتحقيق وجوده الخارجي، ولو ذكر الصفة المشبهة (ورسولك) لكان اتصافه بالرسالة قديماً فلا معنى يؤثر عند القول بحدوث إرساله، بل يلزم التنافي بين القدم والحدوث، ويحتاج إلى تكلف في التأويل.

---

(١) صحيح البخاري: ١/ ١٤- ١٥.

- **تغاير المتعلِّق والمتعلَّق:** إن النص الإبداعي ليكون جميلا مؤثرا لا بد أن تكون معانيه مترابطة ومتماسكة، بحيث تتواشج الأفكار ولا تتنافر فيما بينها، ونجد ذلك مثلا فيما يرويه البخاري: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ الأَعْمَشِ، حَدَّثَنِي شَقِيقٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلاَةِ، قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.... الخ(١)، حيث رأى النبي صلى الله عليه وسلم تنافرا بين أجزاء كلامهم، فهم يقولون: السلام على الله من عباده، حيث يظنون أن السلام على الله تعالى يكون بلفظ (السلام) الواقع بين الناس، فأرشدهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن (السلام) هو من أسماء الله تعالى، وإلقاؤه على الناس يتناسب مع طبيعة الملقى عليهم، حيث يكون المتكلم قد بادر المتحدث معهم الذين يشعرون بالقلق والخوف من الغير بالسلام الذي هو اسم الله تعالى؛ لأنه مصدر السلام والطمأنينة، فيفيض من اسمه الكريم الأمان عليهم، في حين أن ذكر (السلام) مع الله تعالى لا يكون لائقا ومفيدا؛ لوجوب التغاير بين المتعلِّق والمتعلَّق، فأرشدهم إلى طريقة الخطاب مع الله تعالى: بأن يكون بإلقاء :التحيات لله والصوات والطيبات، ثم يسلم على الآخرين المحتاجين لنعمة الأمان، فالجمالية التي حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تحقيقها في الكلام هي التلاؤم المنطقي مع طبيعة المتحدث معه، وبيان أن خطاب الله تعالى له من الاستعمالات الكلامية الخاصة، التي عند الجهل بها تتولد أفكار غير صحيحة عقائديا مع الذات العظيمة المتحدث معها، ويظهر ذلك من خلال مراعاة المغايرة بين المتعلق والمتعلق به.
- **التغاير التناسبي (الطلب واسم التفضيل، والنفي والإثبات):** من جماليات الحوار تحقيق التناسب بين أجزائه وفقراته، فلا تكون فقرة طويلة وأخرى قصيرة، ولا يميل أحد المتحاورين إلى القصر والآخر إلى الطول، ليكون الحوار متناسبا والرد متينا، ونجد ذلك فيما ذكره

---

(١) صحيح البخاري: ١/ ١٦٧.

البخاري: (حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يُحَدِّثُ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا، حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ» ، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاَءِ، فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ، قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ "، قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ؟» ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ)(١)، حيث أرشدهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطريقة الكلامية التي يردون بها على الخصم دعواه، بشكل يتناسب مع طبيعة كلامه ويتفوق عليه، فقد قال الخصم بأسلوب الأمر: أعلُ هبل، وهو طلب علوه ودعاء لهذا الإله بالعلو، وكررها مرتين، فكان الجواب النبوي مشتملا على الحقيقة الفاصلة بين الإله الحق والمعبودات غير الحقة، بأن: الله أعلى وأجل، فقد ذكّرَ الخصم بأن المعبود الحقيقي المستحق للعبادة هو

(١) صحيح البخاري: ٤/ ٦٥.

الله تعالى، الذي يستمد المسلمون منه النصرة والتأييد، وليس من (هبل) المحتاج في ظن الخصم إلى العلو من الله تعالى أيضا، كما ذكر صفة (العلو) بصيغة اسم التفضيل الدالة في أصل وضعها على المشاركة وزيادة، مما يثير التصور الظاهري بأن (هبل) عال أيضا، لكن هذا تنزّل مع الخصم ومعتقده ومجاراة له، فالنبي الكريم في مقام الرد والجدل لا يبتعد عن طبيعة الداعي المنبه للخصم على غلطه وسوء فهمه وتصوره للحقيقة، فكأنه يقول له: إن كنت تعبد إلهاً عاليا في تصورك فإن الله أعلى منه في تصورنا وتصورك واعتقادنا واعتقادك، فعليك بعبادة الإله الذي يستحق العبادة لعلوه على ما سواه، وأربى عليه في وصف الله تعالى: بأنه (أجلّ)، فقد ردّ على الخصم معتقده الفاسد بالعلو، وأردفه بلفظة تنفي ما يتصوره الساذج عن الكلام، بسبب المقارنة الحاصلة بين الله تعالى المعبود بحق وسائر الآلهة ومن ضمنها هبل، بأن الله تعالى أجلّ في هذه المقارنة من أن يذكر مع غيره، إذ جميع ما سواه مفتقر مخلوق ضعيف، فقد أفاد هذا العطف تصورا جديدا عن مضمون الكلام الذي سبقه، فقد ألغى هذا العطف علو هبل أصلا؛ لأن الله أجلّ من أن يقارن غيره به، وعندما قال الخصم: العزى لنا ولا عزى لكم، وهو بذلك يعتقد أن يتفوق عليهم بوجود إله معه ومع جيشه، فيردّ النبي الكريم بردّ حاسم من خلال قوله: الله مولانا ولا مولى لكم، ونجد تحولا في التعبير حيث لم يقل: الله لنا وليس لكم، لأن الله تعالى غير خاص بفئة دون فئة، فأظهر الخبر الحقيقي (مولانا)؛ ليدل النص على أن الله تعالى ناصر المؤمنين بمقتضى وعده لهم، ولا ناصر لكم إلا ما تتصورونه من وجود (العزى) معكم، وبذلك يحافظ النص النبوي على الحقيقة التي لا تقصر الله تعالى على قوم دون آخرين، في حين يمكن قصر صفة النصرة على قوم دون آخرين، وأن ما يتصوره الخصم من وجود آلهة تقف معه محض زعم وافتراء، لأن الله ناصرنا، وجميع ما سواه مفتقر إليه حتى في ظن الخصم، فكيف تدعي العزى لكم وكينونته معكم في الحرب؟ ومع هذا الترابط التشكيلي المتناسب المنطوي على الحجة والتعليم، نجد ظاهرة الجناس ماثلة بين المتحاورين، فالفقرة الأولى انتهت باللام والثانية انتهت بالميم، مع تناسب لفظي اتسم بالقصر وعدم التطويل، فهناك تغاير بين الحوارين يناسب كلٌ منهما طبيعة مقصده، فيتولد من رحم التغاير التناسب المقصود للنص الذي يحقق الهدف من عملية التواصل مع

الوظيفة الجمالية، ومما ينسجم مع هذا الملمح الجمالي ما رواه البخاري: (حَدَّثَنَا ابْنُ سَلاَمٍ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي)[(١)]، حيث نجد تناسبا وتوازيا لفظيا بين فقرتي الدعاء، ولما كان هنالك تغاير بين (أحيني وتوفني) بأن المراد بالأول: أدِمْ حياتي، وبالثاني: أحدث وفاتي، جاءت المغايرة بين (ما كانت) و (إذا كانت)، فدل (ما المصدرية) على الدوام، ودلّت (إذا الظرفية) على الحدوث والإيجاد.

- **الجملة الدعائية:** من جماليات الخطاب عدم الغلو في الحديث الذي يخرج الكلام عن هدفه ومقصديته، لأنه يؤدي إلى نتائج عكسية من عدم صدق المتحدث وإعراض المتلقي، ويظهر ذلك جليا فيما أسنده البخاري: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ أَنَسٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الهَادِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: «اضْرِبُوهُ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ: «لاَ تَقُولُوا هَكَذَا، لاَ تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ»)[(٢)]، والظاهرة الجمالية التي دلّ عليها الإرشاد النبوي أن يقوم الشخص بالواجب الملقى عليه ولا يتجاوزه، فالشارب للخمر يستحق العقوبة الفعلية التي شرّعها الله قصاصا وحداً، ولا يستحق العقوبة الكلامية؛ لأنها تخدش حياءه ومكانته، والواجب على الإنسان أن يتقيد بنوعية العقوبة ولا يتجاوزها، فلما انصرف ذلك الرجل قال بعضهم كلاما غليظا استحقوا أن يصدر النهي النبوي عنه، وهي جملة: أخزاك الله، وهذه جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، وهي دعاء بالخزي والعار، وهو مما تأنفه النفوس في حالة العقوبة وغيرها، ومما يبقى أثرها العقابي في نفسه، فرأى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في ذلك زيادة على العقوبة الشرعية المنصوصة، وهي التجاوز الكلامي والتأديب الجارح، الذي يخرج العقوبة عن مقصديتها وشرعيتها، فالضرب يؤلم ولكن يزول أثره،

---

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٧٦.

(٢) م. ن: ٨/ ١٥٨.

والكلام المؤلم لا يزول تأثيره، وعلل ذلك بأن هذا النوع من الكلام الجارح يؤدي إلى إعانة الشيطان عليه، فيجعله غير منتفع من التذكير والعقوبة الفعلية، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد منهم أن يقولوا له: هداك الله، حتى تحقق العقوبة الفعلية جدواها وهدفها، وما أجدرنا هذا اليوم بهذا الهدي الكريم الذي يدعو إلى الكلمة الطيبة، ونبذ الألفاظ الجارحة التي لا تؤتي ثمرة، ولا تحقق هدفا، ولا تخدم وظيفة التواصل بين أفراد الأمة.

- **التكرار التنبيهي والتحذيري**: قد يكون التكرار للكلام ذا وظيفة مهمة في تنبيه المتلقي وإيقاظه إلى خطر المتحدث عنه وأهميته، مع ما يحتمله من معاني التحذير والتخويف، ويتجلى ذلك فيما أخرجه البخاري: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الحَذَّاءُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لاَ مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»)(١)، حيث كرّر النبي صلى الله عليه وسلم جملة (قطعت عنق صاحبك) مراراً، لأن المدح مما تحبه النفوس وتطمح إلى سماعه، والمادحون لا ينقطعون عن المدح بل يمارسونه باستمرارية، ويرون فيه مجالا للتقرب وطريقا للمجاملة، فجاء التنبيه والتخويف منه بالتكرار المناسب لمقتضى حال الطرفين، وبيانا لشناعة آثار المدح السلبية على الممدوح، الذي يحصل عنده من الغرور والكبر ما يجعله غير قادر على اكتشاف حقيقة نفسه ومن يحيط حوله، فيوقعه في أفعال وسلوكيات تخرجه عن إطار دوره الحقيقي في الحياة، الذي يتجلى في معرفة عظمة الخالق وضآلة نفسه، وسعة علم الخالق ومحدودية تصوراته وفهمه، وذكر العنق في النص إشارة إلى القتل المعنوي الذي يودي بحياة الممدوح معنويا، فيتكل على أفعاله الحسنة، وبذلك تنقطع أعماله وهو من لوازم انقطاع حياته، ونلمح هذا المعنى التنبيهي للمتلقي مع التخويف له، وفي نفس الوقت يحمل مضامين الاطمئنان والرضا بالنسبة للمتكلم، فيما رواه البخاري: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلاَ يَرْفُثْ

(١) صحيح البخاري: ٣/ ١٧٦.

وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ)(١)، فقد يتعرّض الصائم إلى الشتم والسبّ والقتال أثناء صومه، ويصعب على الإنسان السكوت أحيانا لما يرى من ظلم الشاتم وجهله وسفهه، فقد يقع الصائم في الرفث والفحش من الكلام المتسبب عن الجهل، وعدم تحكيم العقل في موطن النزاع، مع أن الصوم جُنّة ووقاية من الوقوع في الجهل المؤدي إلى الرفث والفحش والكلام البذيء عند الخصومة، فيرشد النبي صلى الله عليه وسلم الصائم إلى مقولة مهمة تذكر المخاطب، وإن لم يكن صائما بالصوم ومكانته، والعبادة وأهميتها، وتثير عنده مكامن الخوف من التعدي والتجني على العبّاد، لأن الصائم في نهاره كالمصلي في محرابه، له قدسية لا ينبغي العبث بها والتلاعب معها، كما تولد الاطمئنان في نفس القائل، وتبعده عن الوقوع في مزالق الرد والمواجهة، فكانت الجملة الاسمية (إني صائم) مع تكرارها كلما كرّر المخاصم سبّه وشتمه، ولها من الوقع ما يفوق وقع الردّ على المتلقي، وجمالية التكرار في هذا النص تمثّلت في تعليل عدم الانجرار وراء السابّ والشاتم، بأن عدمه لا يأتي من ضعف أو شعور بالخوف منه، بل إن سكوته وعدم ردّه مستحقان له؛ لأنه لا يليق به النزول إلى ذلك السفه؛ لأنه في عبادة وحالة استجابة لأوامر الله تعالى، ومن كان في هذه الحالة يتنزّه عن الأفعال السفيهة والأقوال القبيحة، مع أنه في مقام الدفاع عن النفس لا يكون سفيها أو قبيحا، لكن شأن العبادة لا يناسب الردّ والدفاع عن النفس، فقد أفادت الجملة الاسمية تعليل عدم الجواب والدفاع عن النفس بعلة الصوم، وبذلك يحقق الصوم وظيفته ووقايته من خلال عصمة الإنسان عن الوقوع في التصرفات والسلوكيات الجاهلة، أو تتحقق الجملة الاسمية المشتملة على التعليل مع تكرارها وظيفة تواصلية تنبّه الشاتم والسابّ إلى الكفّ عن الفحش، وأن عدم الرد عليه نابع من كونه منشغلاً بالأهم وهي العبادة.

- **الأمر القولي والأمر الفعلي (النص والإجمال)**: من مقومات الجمال وجود التناسب في الأشياء والأحوال، فلا يكون الشيء جميلا إلا إن كان فيه تناسب وتلاؤم، سواءٌ كان ذلك في الشيء أو الفعل أو القول، ونلحظ هذه السمة الجمالية فيما ذكره البخاري: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ

(١) م . ن: ٣/ ٢٤.

الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ)(١)، فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقوع الإنسان المسلم في خطأين، تمثّل الأول بالحلف بغير الله تعالى، وتمثل الثاني في الرغبة والدعوة إلى المقامرة والميسر، وكلاهما منهي عنه؛ لأن الحلف بغير الله تعالى كفرٌ، وفعل المعصية فسقٌ، فبيّن النبي صلى الله عليه وسلم سبيل الخروج من الحالتين، فالخروج من الكفر يكون بالتلفظ بالشهادة، والتخلص من الفسق والتكفير عنه يكون بالتصدّق، وبهذا التناسب المضموني والشكلي بين الفقرتين، فالكفر لا ينفع معه تصدق؛ لأنه حين يتصدّق لا يكون فعله لله تعالى، بل طاعة لما يعتقده من معبودات، فالذي يناسب ذلك عودته إلى ما يدخله إلى دوحة الإسلام، ولا يقوى على التخلص من الفعل الشنيع إلا الكلمة العظيمة، التي هي أفضل كلمة قالها محمد صلى الله عليه وسلم والنبيون من قبله، وهي (لا إله إلا الله)، وبذلك تمت المقابلة بين الأمرين الخطيرين، القول الذي يخرج المرء من الإسلام والقول الذي يدخله الإسلام، في حين أن الوقوع في الفسق من سائر المحرمات أخفّ ضررا من الكفر، فيناسبه التكفير الأخفّ المتمثل بالتصدّق، وبذلك حدث التناسب والتوازن بين الفعلين الخاطئين من جهة والفعلين المكفرين من أخرى، والتناسب الشكلي تمثل بالعدول عن القول (فليتشهّد) – التي قد توحي بالوقوع في الكفر الحقيقي – كما قال (فليتصدّق) إلى القول: فليقل لا إله إلا الله، والسرّ في ذلك أنه لما كانت جناية التلفظ بالكفر عظيمة وإن لم يكفر حقيقة، ناسبها بيان كيفية التشهد بذكر ألفاظه صراحة، حتى يتخلّص الحالف بصريح التعليم من جريمته النكراء، ولكن جناية الفسق أخف مقارنة بالكفر، فناسبها ذكر التصدق مجملا، الذي ينفع معه ويتحقق في أية صدقة يقدر عليها ذلك الفاسق، فيكون التناسب واقعا في التشكيل من خلال ذكر المكفِّر في الجانب الأول نصّاً، وذكر المكفِّر في الجانب الثاني مجملاً، فأدى كل من النص والإجمال دورهما في موضعيهما، مما أضاف لمسات جمالية، مع عدم ترك الدليل البرهاني الكامن في التفرقة بين الكفر وسائر المعاصي.

---

(١) صحيح البخاري: ٦/ ١٤١.

- **الجملة الاسمية والجملة الفعلية:** من المعلوم أن الجملة الاسمية تفيد الدوام والثبوت، والجملة الفعلية المضارعية تفيد التجدد والحدوث، وأن الأصل في كل منهما أن تكونا جملتين خبريتين، ووضع كل من الجملتين في موضعه بالنسبة للأصل الأول التزام بالوظيفة، التي يؤديانها من توضيح المعنى وتحقيق مقاصد المتكلم، وإنجاز وظيفة التواصل اللغوي وتحقيق هدفه، والجمالية التي يحققها هذا الاستعمال تكمن في استعمال التراكيب في أوضاعها الأصلية وكونها مناسبة للمقام والاستعمال، ولكن خروج الجملتين عن الإخبار إلى الإنشاء، له وظائف تخدم العملية التواصلية وتحققها على أكمل وجه، وقد تمثل ذلك في التوجيه النبوي لخطاب العاطس ومشمّته، كما يتضح فيما يسنده البخاري: (حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)(١)، فقد أرشد العاطس إلى الثناء على الله تعالى بالجملة الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار، وهذا شأن الحامد ليحقق أعلى درجات الثناء، ولأن الحمد غير مخصوص بحالة دون حالة، وأما كلام المشمّت فجاء بأسلوب الجملة الفعلية؛ لأنه خاصّ بحالة العطس، لما في عود الروح للإنسان من آثار الرحمة الإلهية، وجواب العاطس عليه بالهداية وصلاح البال؛ لأنها حالة خاصة توازي حالة دعائه له مع زيادة؛ للدلالة على تفضّل الداعي الأول، فأربى عليه بدعوتين مقابل دعوة واحدة، وإنما دعا له بالهداية في الظاهر، وأراد دوامها وزيادتها؛ لأن الدعاء بالرحمة دليل الهداية، فيكون المراد بالهداية الدوام عليها مع الاستمرار والاستزادة منها، والدعاء بصلاح البال؛ لأن المشمّت لم يهدأ باله نتيجة حالة العطس التي هي حالة بين الحياة والموت، فناسب أن يدعو له بصلاح البال وهدوئه، فوزّع النبي صلى الله عليه وسلم الأدوار بين كل من المتكلم والمخاطب وبما يتناسب مع دوره وهدفه؛ ليتحقق التواصل اللغوي وينجز غرضه مع الجمالية التشكيلية لكل من الرسالتين اللتين يوجهانها، ولكن هذه الجملة خبرية في الظاهر إنشائية في المعنى والباطن، لأن الغاية منهما الدعاء والإيجاد، فمضمونها

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٤٩– ٥٠.

غير حاصل قبل وقت التكلم، وهذا الخروج عن الأصل استدعاه المقام وتطلبه؛ لأن المتكلم بعد تخلصه من تلك الحالة يثني بالجميل اللساني على صنع الله تعالى به، والمخاطب يدعو للعاطس بالرحمة والنجاة، ليردّ عليه بالدعاء بالهداية وصلاح البال، فلا تؤدي هذه الوظائف إلا الجملة الإنشائية المغلفة بقالب الإخبارية، لإضفاء لمسة جمالية وهي أن الجملة الخبرية تدل على مضمون حاصل قبل التكلم بخلاف الإنشائية(١)، واستعمال الأسلوب الإنشائي في هذا المقام يدل على أن أصل الحمد والرحمة والهداية وصلاح البال حاصل، وأن المراد بالإنشائيات إيجاد ثناء آخر وزيادة رحمة وهداية وصلاح بال، وبذلك يكون الأسلوب الإنشائي في هذا المقام دالا على الزيادة مع وجود الأصل، وبذلك تحقق هدفا الجملة الخبرية والإنشائية معاً، ولا ننسى أهمية هذا الإرشاد النبوي في تحقيق علاقات المودة والإخاء بين أفراد الأمة، من خلال نشر عبارات الذوق اللطيف وأصول الحديث الجميل، كما يظهر جلياً فيما أخرجه البخاري: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ المُنْكَدِرِ، حَدَّثَهُ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ – أَوْ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ –» فَلَمَّا دَخَلَ أَلاَنَ لَهُ الكَلاَمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي القَوْلِ؟ فَقَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ – أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ – اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»)(٢).

- **المجاز**: يضيف عنصر المجاز لكلام بعينه جمالية على الخطاب، وبيان أهمية جزء من أجزائه، من خلال تنبيه المخاطب إلى مزيد الاهتمام لا سيما إذا وقع ذلك المجاز مكرّراً، ليستقرّ في الأذهان ولينفعل معه وجدان المخاطب، ويوصله إلى ما يشعر به المتكلم من أثر عظيم وأهمية قصوى، ونلحظ ذلك فيما رواه البخاري: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ سَافَرْنَاهُ، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلاَةَ، صَلاَةَ العَصْرِ،

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، الدسوقي(ت ١٢٣٢هـ) محمد بن عرفة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ٢٠٠٧م : ١/ ٦٣- ٦٤.

(٢) صحيح البخاري: ٨/ ٣١.

وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا»)(١)، فقد بلغ التعب والإرهاق أشده بالصحابة نتيجة السرعة في السفر، ومن شدة تعبهم أخذوا يمسحون الرجلين بالماء من غير خفّ، فبيّن لهم النبي صلى الله عليه وسلم خطأ ما يفعلونه، وشناعة ما يؤدونه، فأوضح لهم أن الواجب غسل الرجلين لا مسحهما، من خلال قوله (ويلٌ للأعقاب من النار)، فقد أشار في هذا الخطاب إلى أن الواجب الغسل؛ ولو كان المسح كافيا فلا يشترط فيه الإحاطة بالرجلين، كما في مسح الخفّ خطوطاً، بل الواجب الغسل فهو الذي يتصوّر معه النهي عن عدم إيصال الماء إلى العقبين، كما أفاد التكرار خطر ما يتصورونه من صغر العمل وقلة أهميته، فالعقب جزء صغير من القدم، يحتمل المسامحة والتساهل، فأرشدهم إلى أنه صغير لديهم، عظيم في التشريع، حيث يقود صاحبه إلى النار؛ لأن عدم صحة الوضوء موجب لعدم صحة الصلاة، فاستحق الأمر هذا الوعيد الشديد الذي أشار إليه أصل الكلام، مع وظيفة التكرار والإعادة، وإنما لم يقل: ويلكم من النار، لأن عدم قبول الصلاة موجب لعقوبة الشخص بأكمله لا عقبيه فقط، للإشارة إلى السبب الحقيقي الموصل لهم إلى العقاب، وهو ترك غسل العقبين، فيكون من قبيل ذكر الجزء وإرادة الكل، فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية، ولو نطق بالأصل لما أفاد إلا حصول العقاب من السرعة في الوضوء، دون الإشارة إلى خطأ المسح وترك غسل العقبين، فالتشخيص لموطن الخلل والإشارة إلى أن الواجب الغسل دون المسح، كانا الداعيين إلى ارتكاب المجاز المرسل، وبذلك تتحقق جمالية النص النبوي من خلال دلالة المجاز وما أدّاه الدعاء بالويل، من تنبيه للمخاطب مع تخويف شديدين يناسبان فداحة ما يتصوره، والتكرار للنص المشعر بالأهمية والخطورة، فالتكرار الذي يجلب تنبيها للمخاطب على عظم الأمر وخطورته يكون مطلوبا، وعدم التكرار له قد يعطي تصوراً عند المتلقي بتراخي رتبته وضآلة شأنه.

- **إضافة الموصوف إلى الصفة:** ويظهر ذلك جليا فيما يورده البخاري: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ المُفَضَّلِ، حَدَّثَنَا الجُرَيْرِيُّ، وحَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا سَعِيدٌ الجُرَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ

(١) م . ن: ١/ ٣٠- ٣١.

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ – ثَلاَثًا – أَوْ: قَوْلُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ)(١)، فقد يتصور المخاطب لوجود الترتيب بين أكبر الكبائر، أن قول الزور أو شهادة الزور أمر هين، وأقلّ خطرا بالنسبة للشرك وعقوق الوالدين، نعم هي أخفّ خطرا مقارنة بهما، إلا أنها في ذاتها عظيمة خطيرة، لأن الكذب قد يأخذ بيد الإنسان إلى جميع أنواع الشرور، من الكذب على الله تعالى والكذب على النفس وعلى الآخرين، فهو أمر شنيع، ولذا أراد التوجيه النبوي إظهار شؤمه من خلال التكرار له؛ لأن كثيرا من الناس يتحاشون عن جريمتي الشرك والعقوق، ولكنهم لا يحترزون عن الكذب ويتجاهلونه ويتناسونه، فأراد الإرشاد النبوي إظهار قيمة ما يستصغرونه وخطورة ما يقدمون عليه، ولذا اعتدل النبي صلى الله عليه وسلم في جلسته للإشارة إلى أنه أمر جليل، فالحركة المرافقة للنص أسهمت في أداء الوظيفة الكلامية التي يريد تحقيقها في نفس المخاطب، ولا ننسى أن إضافة الشهادة أو القول إلى الزور من إضافة الموصوف إلى الصفة، فأصل الكلام: القول المزوّر أي الكاذب، ولأجل تحقيق المبالغة فيه، تمّ تحويل المشتق إلى مصدر، وإضافة القول إليه للتخصيص، فكأن الزور صارت له شهادة وقول مختصّان به، فأفادت الإضافة تشخيص الزور وإخراجه بثوب الوجود الخارجي، وإسناد القول إليه، وكأن الزور هو الذي يتكلم ويتلفظ، وفي هذا التركيب المجاز الاستعاري، حيث شبه الزور بكائن يصح منه الكلام، وحذفه وأبقى شيئا من خواصه ولوازمه على طريقة الاستعارة المكنية وهو (القول)، وأسنده إلى الزور على سبيل الاستعارة التخييلية، ومن ذات المجاز الاستعاري ما أخرجه البخاري: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ الأَعْرَجِ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَأْثُرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا)(٢)، حيث جعل للحديث ظناً، إذ التقدير: الحديث الكاذب أنواع أكثره كذبا الحديث الظانّ، وإنما الظانّ هو الشخص العاقل دون الحديث، فصار الحديث حيا ناطقا متحركا من خلال جعله قادرا

(١) صحيح البخاري: ٩/ ١٣– ١٤.

(٢) صحيح البخاري: ٧/ ١٩.

على الظن، وفي ذلك مبالغة في تصوير معنى الحديث القائم على الظن، وكأن كذب الإنسان في ظنونه أشدّ من كذبه في كلامه، بل ربما يقوده إلى الهلوسة بنوايا الآخرين.

- **إضافة الصفة إلى الموصوف:** من جماليات الخطاب التحويلات الكلامية عن أصلها، التي تباغت ذهن المخاطب وتثير عنده شعورا جمالياً بالنص، فالأصل في التركيب الوصفي أن تأتي الصفة بعد الموصوف، وفي ذلك التأخير ارتكاب الأصل والدلالة على أن الموصوف هو الأهم في الإسناد، وأن الصفة تابعة له لمجرد التوضيح أو التخصيص، ولكن قد يعكس هذا النظام عن طريق الإضافة، فتقدم الصفة على الموصوف؛ للدلالة على أن الصفة هي مركز الاهتمام، وأن الموصوف أمرٌ لا علاقة له بما يتم الحديث عنه، ويتضح ذلك فيما رواه البخاري: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»)(١)، فقد تمّت إضافة الصفات (جهد ودرك وسوء وشماتة) إلى الموصوفات (البلاء والشقاء والقضاء والأعداء)، وأصل التراكيب: البلاء المجهد والشقاء ذو الدركات والقضاء السيء والأعداء الشامتون، ومن المعلوم أن التعوّذ يكون على موطن الاهتمام ومحور التركيز، ولو تعوّذ الإنسان من هذه التراكيب باعتبار أصلها لزم بوساطة مفهوم المخالفة أنه لا يتعوّذ من البلاء غير المجهد ....الخ، كما يكون التركيز على البلاء والشقاء والقضاء والأعداء، في حين أن المتكلم يريد التركيز على صفاتها وما تستلزمه، فمثلا (شماتة الأعداء) لا تحصل إلا إذا وقع الإنسان في مصيبة فيشمتون به حينئذ، فلو تعوّذ من الأعداء الشامتين للزم إضافة لما سبق أنه واقع في مصيبة وهم يوجهون الشماتة له، في حين أن التعوّذ من شماتة الأعداء لا يستلزم وقوعه في المصيبة، فيدل بأسلوب الكناية، أنه داع بعدم الوقوع في المصائب المؤدية إلى شماتة الأعداء، وفي ذلك العدول من الجمالية ما لا يخفى تفسيره وتحليله في بقية أجزاء النص النبوي.

---

(١) م . ن: ٨/ ١٢٦.

وخاتمة القول: لقد كانت التوجيهات النبوية المتعلقة بعملية التواصل الكلامية تقوم على أساس تقديم المعرفة والحقيقة، مع الحرص على الجانب الأخلاقي والذوقي، ضمن سلسلة كلامية تتسم بعناصر الجمال التشكيلي للنص، وبذلك تحققت الوظيفة الإفهامية المعرفية، والوظيفة التأثيرية أخلاقيا، والوظيفة الجمالية، التي لا توجد النصوص الأدبية إلا لتحقيقها وتشكيلها.

Oral communication aesthetical in honored prophetic tradition
Sahih AL-Bukhari as a model

Prof. Dr. Mohammad thannon younis alfath

Abstract

This research deals with the prophet mohammads (blessing and peace be upon him) careens with speech between man and his lord on the one side and the man with his brother from the other side.

This speech comprises truth, fact, and expressional art beauty so, speaker can do these two missions with out exaggeration can make harm the other side.